باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

الصحة الجنسية والنشء

بقلم الدكتور محمد زكي شافعي
السكرتير الفني لمصلحة الصحة السومية

يستطلع كثيرون من الوالدين المستنيرين رأي المقتطف في هل تقضي الضرورة بتلقين الابناء في الصغر بعض مبادىء الصحة الجنسية واذا كان الردُّ بالايجاب فالى اي مدى وبأية وسيلة يمكن تفهيم الصغير المسائل الجنسية ومن الذي يقوم بهذا الامر ؟ فتفضل حضرة محرر المقتطف الفاضل وأحال عليَّ بحث هذا الموضوع الدقيق وابداء الرأي فيه بما يروي غلة السائلين لا سيما وانني طبيب ووالد فنزولاً على ارادته ورغبة قراء المقتطف سأبحث هذا الموضوع من وجهتيه الفنية والاجتماعية في عدة مقالات لما له من المكانة الحيوية في التعليم والتربية

اصبحنا الآن والاطباء ليس جلُّ همهم التفرقة بين الامراض وابراء المرضى فقط . بل غايتهم التقصي لاجتثاث اسباب الامراض ووقاية السليم من المريض . ومن هنا نشأ الطب الوقائي الذي لا يقتصر مداه على الامراض المعدية والوبائية فحسب بل غايته الوقاية من كل الامراض معدية كانت او غير معدية باطنية او جراحية عقلية او اجتماعية ولذلك تفرع منه طب النساء الوقائي والجراحة الوقائية وطب الاسنان الوقائي وطب العقل الوقائي وهلمَّ جرًّا

فمن هذا يرى ان الطب الوقائي نما نموًّا عظيماً واصبح وثيق العلاقة بعلم وظائف الاعضاء التطبيقي لانه اصبح من اهم دعائمه رفع كفاية اجهزة الجسم المختلفة مع مراعاة الاحوال الشخصية من بيئة ووراثة وغيرهما . ولذلك كان وقوف الجمهور والاحداث بصفة خاصة على وظائف اجهزة جسمهم ومبادىء الطب الوقائي هو من اهم الاسلحة التي تقاوم بها الامراض لان الطب وان كان قد قطع شوطاً بعيداً في طريق التقدم والارتقاء لم يتمكن من التغلب على كافة الامراض . فنحن في اشد الحاجة الى التدريب على الحياة الصحية . وموت الناس من الجهل اكثر من موتهم من المرض . ولا ادل على ذلك من انه يولد سنويًّا ثمانون في المائة

من الاطفال اصحاء فلا يصل الى سن الشباب الا العدد القليل وهم متمتعون بالصحة الكاملة. ولهذا وجهت في كل البقاع والامصار العناية الى الصحة العامة وأصبحت تدرس في كل المدارس على السواء . غير ان الصحة الجنسية لحداثة العهد بتوجيه النظر اليها لم تعط العناية الكافية. فاذا نرى الوالدين والمعلمين يعنون كل العناية بصحة الاطفال الشخصية نراهم يحجمون عن كل ما له مساس بالجنس ولا يلقنون اولادهم عنه لا الكثير ولا القليل وخصوصاً الفتيات واذا عرف الاحداث شيئاً فعن طريق من هم اجهل منهم . وما يحصلون عليه يكون عادة خاطئاً ومضراً مع ان صحة الجنس ليست الا فرعاً من فروع الطب الوقائي . وقد اصبح يدرس الآن في معاهد خاصة في بعض البلدان وأساسهُ العمل على نجاح الزواج ودرء كل اسباب الفشل عنه سواء من الوجهتين النفسية او الطبية الوقائية والتشجيع عليه وتحسين النسل. وقد درس باحث من الاطباء باميركا حالة ألف سيدة متزوجة للاغراض المتقدمة والغلبهن كنَّ من الطبقة المتوسطة وقد جمع هذه المعلومات بواسطة اطبائهن المخصوصين وكانت نتيجة الابحاث ان نصف هذا العدد قصدن الى الاطباء للعقم والربع لاورام في الحرض والمهابل والباقيات لاسباب اخرى ظن انها ذات علاقة بالحوض. وقد لوحظ ان نصف هؤلاء السيدات يشكون بعض الاضطراب الحيضي وكان الاضطراب عادة خفيفاً كما ان صحة ٥٦ في المائة منهن جيدة او تظهر عليهن علائل الصحة و٢٧ في المائة صحتهن دون المتوسط ويشكون من اضطرابات عصبية و١٧ في المائة صحتهن متأخرة وفريق منهن مصاب ببعض امراض العقل او الاعصاب. ووجد ان في كل ١٢ سيدة منهن واحدة مصابة بمرض زهري وان كانت هذه الاحصاءات لا تنطبق على الحالة في جميع البلدان ولكنها تنطبق بخطورة الحالة التي قد تكون سبباً لانهيار صرح هناءة الاسرة وهذا ما يجب ان يتلافى بالتعليم الصحيح

وقد تغيَّر فهمنا الآن للمسائل الجنسية تغيراً كليًّا في العشرين السنة الاخيرة واصبحت النظريات الحديثة تخطىء القول بان الشعور الجنسي لا يبدأ الا عند سن البلوغ وقد ارجعها فرويد الى سن الطفولة اذ تكون خامدة او كامنة حتى تنمو فسيولوجيًّا وسيكلوجيًّا في سن البلوغ. وقد صار لهذه النظريات أثر بليغ في الصحة الجنسية وامكن بواسطتها تفهُّم اسباب بعض الامراض العقلية والنفسية بل والشذوذ الجنسي. فلو كان الوالدون والمدرسون والاطباء مقتنعين بضرورة تعليم الابناء صحة الجنس لما وقعوا فريسة هذه الامراض وغيرها ولما تعرض الكثيرون للفشل في حياتهم العملية والزوجية

لكن لعادات الموروثة ما قد يعرقل فكرة تلقين الاولاد صحة الجنس فما هي الوسائل التي نتغلب بها على هذه العوائق ؟ وفي أية سن يعلمون ؟ ومن الذي يتولى امر هذا التعليم ؟ وما هي المواد التي تعلم ؟ هذا ما سأحاول الاجابة عليه من المقالة التالية

الادب التركي الحديث (١)

خالدة اديب خانم

ننتقل الآن الى الكلام عن السيدة خالدة اديب خانم الشاعرة التركية الحلوة الاغاريد الرقيقة النغم التي رفعت من شأن المرأة التركية وكانت مثلاً عالياً لتطور المرأة المسلمة واتساع معارفها

ولعلَّ الظاهرة غير العادية التي تسترعي النظر بصفة خاصة في حياة السيدة خالدة اديب خانم انها لم تتقف على الطريقة التي جرى عليها الاتراك في الزمن القديم . فان هذه الطريقة القديمة وان كنا نجلها ونعترف لها بنتائج باهرة لأنها اخرجت عالمة تركية كبيرة مثل فاطمة خانم التي اشتهرت بسعة علومها في الفقه والتشريع غير انها ابقت على أسار المرأة التركية من الوجهة الذهنية والخلقية . اما السيدة خالدة أديب فنستطيع ان نقول انها تلقّت تهذيباً حرًّا وعاشت في بيئة حرة ، او بعبارة ادق لا تدين بغير حرية التفكر وحرية النظام فقد ولدت من والدين متوسطي الحال وكان والدها سكرتيراً في دائرة الخزينة السلطانية الخاصة وكانت منذ حداثتها تظهر ميلاً للتبحر في العلوم والآداب ولم يكن يؤذن للبنات الوطنيات في ذلك العهد بدخول المدارس الاجنبية ولم تكن المدارس الوطنية تفي بالحاجة فتوسل والدها الى السلطان عبد الحميد ان يأذن لابنته بدخول الكلية الاميركية في الاستانة فأذن لها فدخلتها ولم يمض زمن على ذلك حتى برزت على اقرانها وتخرَّجت سنة ١٩٠١ برتبة بكالوريوس علوم وهي اول امرأة مسلمة في تركيا نالت هذه الرتبة . وقد برعت في جميع العلوم الا الهندسة فقد كانت خجر عثرة في سبيل تقدمها فأحضر لها والدها استاذاً خاصًّا من اساتذة الجامعة السلطانية ليلقنها في المنزل ما اشكل عليها فهمه من هذا العلم فلم يلبث ان علق بها فخطبها من والدها ثم اقترن بها وهي لا تعلم ان لزوجها امرأة وأولاداً في باريس على أنها لم تكن لتجد خلاصاً لها من تلك الحالة فاضطرت الى ملازمة خدرها وكانت تقضي أوقاتها في مطالعة ما حوتهُ مكتبة زوجها من التآليف النفيسة ولا سيما الفرنسية منها فكان لمطالعتها أثر شديد في نفسها الكبيرة ولم تلبث أن سنحت لها الفرصة المنشودة إذ طلقت زوجها وأصبحت حرة لتقف حياتها على الجد والعمل وكان ذلك قبل اعلان الدستور في تركيا فلما أعلن وأطلقت الحرية للأفكار والمطبوعات نشرت خالدة أديب قصيدة حماسية تخاطب فيها رجال الفرقة الرابعة التي تم على يدها قلب

(١) تتمة المحاضرة التي القاها حضرة الكاتب الاديب الاستاذ فكري في دار تقابة موظفي الحكومة المصرية بدعوة من جماعة الادب المصري

الحكومة الاستبدادية لسان مؤسس الدولة العثمانية فكان لقصيدتها وقع عظيم وطارت شهرتها وذاع صيتها

وفي هذه البيئة السياسية التي كانت تدوي فيها اسماء ابطال الاتراك في الحقبة الاخيرة : انور وطلعت ونيازي وجمال وجاويد . في هذه البيئة نضجها ابتدأت السيدة خالدة اديب تفكر وتكتب على مثال ماري وتحس وكانت الجمعية التركية وقتئذ تشكو مظالم العهد الحميدي وتتألم من ضروب العسف وضياع سيادة الدولة فابتدأت كسيدة مثقفة ومطلعة تكتب في سبيل الدفاع عن حقوق المرأة فصار الناس يطالعون كتاباتها بلهفة ولكنها لم تقتصر على ذلك بل جعلت تنشر في جريدة « طين » مقالات اجتماعية وسياسية فاشتهرت بسداد الرأي واعتدال اللهجة وكانت تجتمع برجال تركيا الفتاة ولا سيما انور وطلعت وجمال فتبدي لهم رأيها في شؤون الدولة وهم لا يستنكفون من الاصغاء اليها والعمل بآرائها . ولما قلب عبد الحميد الحكومة الدستورية سنة ١٩٠٩ ورد اسمها في قائمة المحكوم عليهم بالاعدام فاضطرت الى الفرار حرصاً على حياتها فشخصت الى مصر ومكثت فيها الى ان استعاد الاتحاديون سلطتهم

وفي ذلك الوقت كانت قد اثمرت في اذهان الاتراك فكرة العصبية التركية وانبثت في الجمعية التركية فكرة الاندية السياسية التي كانت تحض على انقاذ العنصر التركي . وكان هذا المبدأ المجرد يعمر قلوب الاتراك نساء ورجالاً فلما تردد في جو العاصمة التركية صوت السيدة خالدة اديب في سبيل الدفاع عن حقوق المرأة لم يلبث ان تجاوب مع اصوات كثيرة كان يصدرها وقتئذ بعض الزعماء وقادة الحركة السياسية

والى السيدة خالدة اديب يرجع الفضل في رفع شأن المرأة التركية بانشاء الاندية والجمعيات ولما نشبت الحرب البلقانية انتظمت كثيرات من النساء في سلك جمعية الهلال الاحمر وجعلن يكتبن ويحضن ويحرضن على الجهاد في سبيل الوطن وقد احتشد عدد منهن يربي على خمسة آلاف في دار الجامعة السلطانية فوقفت تخطب فيهن بحماسة متوهجة ولما انتت خطابها كان العرق يتصبب من جبينها من شدة التأثر والانفعال فنزعت حُليّها الثمينة والقت بها في صندوق املها اعانة للوطن فاقتدت بها سائر النساء وجعلن الواحدة تلو الاخرى يقدمن حليهن لهذه الغاية الشريفة

وابتدأ بعد ذلك انضمامها الى الحركة الوطنية التي كان يعمل رجالها لتحرير تركيا القديمة من ربقة النظم والعادات التي قضت على العنصر التركي بالجمود . واتسع اشتراكها بعد ذلك في تلك الاحزاب السياسية فصارت عضواً في حزب التقدم الجمهوري من بعد أن اشتركت اشتراكاً فعلياً في الجهاد مع الوطنيين الاتراك وكانت تحضر اجتماعات زعماء الاحزاب الوطنية وتترأسها احياناً ولا يضع اولئك الزعماء خططهم السياسية الا بعد استشارتها . وكانت الى جانب ذلك ترأس

اللجان التي تؤلف لحل المسائل الشرعية المتعلقة بالمرأة وعلى الاخص مسألة تعدد الزوجات وكان يشاركها في ذلك طائفة من السيدات التركيات نخص بالذكر منهن السيدة زينب محيي الدين خانم الرئيسة السابقة للاتحاد النسائي بالاستانة وسلمى خانم . اولئك اللواتي عملن بكل ما في وسعهن على صيانة حقوق المرأة التركية واصلاح قانون الاسرة وبينما كانت السيدة خالدة اديب تواصل جهودها في سبيل تحرير المرأة كانت الصحف تملأ أعمدتها برسائل في الادب والشعر الرقيق الذي كانت تنشئها في اوقات الفراغ . والى السيدة خالدة أديب يعزى الفضل في توضيح مهمة المرأة التركية في المجتمع وان هذه المهمة أوسع وأجلّ مما ينهضُ رجال العصر . ولما تقرر في الاذهان أنها سيدة مثقفة من الطراز الاول وأن جهودها تسع النهوض بالاعمال الجليلة في دوائر السياسة والادب والاجتماع وأنها زعيمة متفوقة تتصف بأجل ما يمكن ان تتصف به المرأة المهذبة من المزايا والخلال الباهرة رأى الزعماء الوطنيون الذين شاركتهم حيناً طويلاً في ميادين العمل السياسي والدفاع عن حرية البلاد أن يكلفوا مهمتها الشريفة بمنصب تستطيع أن تترك فيه لمواهب المرأة والزعيمة اصدق امثلة أخرى باهرة في حياة المرأة فعهدوا اليها بتولي وزارة المعارف وكان ذلك في موطن تقليدي قديم نوعاً من التجديد لم يسبق له نظير في الشرق . وقد رفع مقام السيدة خالدة اديب في نظر جميع الذين يمجدون نبوغ المرأة وعبقريتها . وكان مثلاً باهراً يوحي بان ثمة مستقبلاً عظيماً للمرأة في الشرق . وقد أعلى مركزها كأديبة واسعة الاطلاع ومجاهدة سياسية اقترن في مهمتها العمل لجنسها بالعمل الجدي للوطن وللجمعية وكانت مثلاً فذّاً للمرأة المسلمة بوجه عام

***

على ان السيدة خالدة اديب لم تبلغ هذه الغاية في المجتمع الذي عملت على تحريره الا بعد أن ضحت بجانب كبير من ايامها وراحتها وهنائها في الاشتراك مع اولئك الذين كان النظام التركي القديم قد جعلهم موضوع نقمته ومطاردته

وكان لا بدّ ان يقترن بذلك التطور الباهر في حياتها كسيدة تركية تطور آخر في ذهنها وطريقة تفكيرها . وفي الحقيقة ان الجمعية التركية والعادات التركية بوجه خاص كانت وقتئذ مستعدة كل الاستعداد لذلك التطور . وقد ابتدأ اول ما ابتدأ في الغناء والموسيقى ثم في الشعر . ومن الممكن ملاحظة ذلك في الطرائق الجديدة التي يستعملها الاتراك الآن في كتاباتهم واشعارهم . وينسب الى السيدة خالدة اديب في هذا المعنى تعابير وصيغ طريفة تفرغ فيها افكارها فهي ترى ان المرأة التركية لا ينقصها للترقي غير حظ الرجل الحر من التعليم وهي تعني بالرجل الحر ذلك الذي تحرر من القيود الادبية والحوائل التقليدية التي تحول دون

ترقي الجماعة . أما التحرير السياسي وحقوق المرأة بحسب التعبير الشائع فهما عندها في الدرجة الثانية فتوجه القول الى قارئها « ان السياسة لا تملأ الا جانباً تافهاً من حياتنا وانما هو نير القيود الاجتماعية والادبية الذي يثقل كاهل المرأة »

الى أن تقول : —

« اذا كان يراد بنا نحن النساء ان نكون احراراً في هذه الارض فينبغي ان ننال من التعليم حظ الرجل الحر . ولكن التعليم في المدرسة كان طلاء للحرية مموهاً فان فتياتنا جميعاً لا يزلن في اعماق قلوبهن عبيداً للاكاذيب الاجتماعية المقررة التي خلقها الرجال. وليس الغرض من هذا الا ان يعرف الرجل الى اي حد يمكن التوسع في تهذيب المرأة على شريطة ألا يبلغ بها الى حدود تحريرها من الأسر »

« ان الرجال يحاولون ان يهذبونا من الناحية الذهنية فقط ولكنهم من الوجهة الادبية أو الاجتماعية يأبون الا ان يحكموا علينا الوثائق ويشدوا الاغلال ولكنهم لم ينجحوا فان الوثاق على مر الزمن سيقطع والغل سينفك . لانك اذا ابتدأت اليوم بتعليم النساء فأنت ولا ريب منتهٍ غداً بتحريرهن »

وحسب هذا الرأي الوضعي البحت أن يصور لنا مذهب السيدة خالدة أديب في تحرير المرأة . وفي الحقيقة ان مهمة المرأة محدودة بمهمة الرجل التي هي اوسع . لذلك كانت قيود الاجتماع والاصطلاح تثقل كاهل المرأة من حيث أنها زعيمة تلك المملكة الصغيرة التي هي الاسرة أو المعنى العائلي . ولقد كان في أساس المهمة الشاقة الجليلة التي قامت بها السيدة خالدة أديب مسألة تحرير الاسرة التركية وكان من أهم القيود التي تعانيها مسألة تعدد الزوجات والسيدة خالدة أديب الى كونها زعيمة حركة نسوية من الطراز الاول . مفكرة واديبة وخطيبة بليغة لا تكاد تصل عبارتها الى الاسماع حتى تملك القلوب وتجتذب اليها الجماهير . وقد كان لخطبها الرنانة ومحاضراتها أثر قوي في تحقيق عناصر المهمة الواسعة التي أفضت في النهاية الى تحرير المرأة التركية . ونعلم من تآليفها — وهي من الكاتبات القلائل لا ينقطعن عن الكتابة — مذكراتها عن الحرب بين تركيا واليونان وهي تلك الحرب التي اشتركت فيها بتخفيف آلام الجرحى والمنكوبين ورواية بديعة بعنوان « الاكمة الحمراء » كلها تصوير للحرب وحمية الجنود الاتراك وحماستهم والسيدة خالدة أديب رسالتها الاسبوعية في الصحف التركية

***

وقد امتازت الى سعة اطلاعها بالدقة في التصوير وقوة الحياة في التعبير ومقدرة على وصف روائع العالم التركي الذي جاهدت من اجله وامتلأت شعاب قلبها حماسة في سبيل الدفاع عنه .

ثم هي خصبة الذهن قيّمة الانتاج مستحدثة الاسلوب كسائر الكتاب الاتراك المعاصرين فانك لا تكاد تجد فرقاً كبيراً اليوم بين كاتب تركي من الطبقة الاولى وبين كاتب اوربي معاصر في اخراج الصيغ والتعبيرات . وهذا يرجع الى طبيعة اللغة التركية اكثر مما يرجع الى مواهب الاتراك انفسهم وان كنا نعترف للسيدة خالدة أديب بتلك الموهبة العظيمة التي جعلت منها كاتبة واديبة وشاعرة من الطبقة الاولى ولعبي بها خصوبة الذهن المقترنة ببلاغة التأليف

***

ومن بدائع انتاجها قصيدة بعنوان « موت الشاعر »

قالت : —

« ايها الشاعر

« ان الجلو الذي عهدته لايزال على عهده . والانهار التي تهدئها تجري كدوب الحنين ، والنسيم مصعده يهب حاملاً أوج الازهار وعطرها

« وها هي الطيور ما برحت تأوي الى وكناتها صادحة مغردة وها هي الطبيعة والشمس ذات الضفائر الابريزية تألق في الافق . والرعاة كما عهدتهم ينشدون مهللين لتحية ملكة النور عند غيابها

« كيف ايها الشاعر ، هل كسرت قيثارتك التي تردد انغامها ملء الدنيا

« وهل رميت بالقلم الذي كان يسيطك كالطائر الغرد فلا تعود الى التوقيع الشجي المطرب ؟

« هل قضي نهائياً عليك بالانزواء في هذا المنزل القصي وقد فارقت هواتك ومريديك ؟

فلما سمع الشاعر اجابه : —

« بلى ، قضي الامر وكسرت يراعتي وحطمت قيثارتي . اني ارى كل ما في الطبيعة يستحثني على الانشاد ، ولكني اشعر بالعجز امام الموت الذي يفترسني

وفي هذه الدقيقة كان قرص الشمس الذهبي يهوي في اعماق المغرب فراح الشاعر يناجيه :

« ايها الكوكب المنير ، اذا بلغت اله النور فذكره بهذا الشعب العظيم المشتاق

« قل له ان تركيا ما برحت تشرق كل يوم وتلثم ثغر الطغيان فرنت لها الشمس بنظرها وقالت :

« اذن ، هلم ايها الشاعر الى الله المحيط بكل شيء فتبثه مصائب قومك الشاكين المتوجعين

« هلم الى الله تشكه ما يجيش في صدرك

« وغابت الشمس على الاثر وراء البحر بينما كانت الامواج تصطخب في سكون

« وأرخت الظلمات سدولها وساد المدينة صمت عميق لان شمس تركيا غابت عن تركيا ... »

وبعد ، فاننا لم نتحدث عن السيدة خالدة أديب اشهر كاتبات تركيا الجديدة الا لكي نقدم مثلاً عالياً لسائر سيدات الشرق فان خالدة أديب تستحق أن تكون قدوة للمرأة الشرقية بوجه عام

نقولا شكري